Journal Of the Iraqia University (73-2) July (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

تطور مفهوم الهوية العربية

م.م. زينب خالد محمد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد

The development of the concept of Arab identity

Assistant Lecturer. Zainab Khalid Mohammed / Center for the Revival of Arab Scientific Heritage / University of Baghdad
Zainab.k@rashc.uobaghdad.edu.iq

الملخص

تنبع الهوية من ذات الفرد أي إنها فردية قبل أن تكون اجتماعية أو مجتمعية، بمعنى أن الإنسان العربي يجب عليه أن يشعر بأهمية هويته ويبث هذا الاهتمام والأهمية في المجتمع الذي يعيش فيه، واستخدمنا المنهج الوصفي التحليلي لمناقشة مفهوم الهوية العربية وأركانها المختلفة كاللغة المشتركة والأرض والتاريخ المشترك..الخ، وأيضا ماهية هذه الهوية وتاريخ نشوء المفهوم في عالمنا العربي، كما ناقشنا التغيرات التي طرأت على الهوية العربية، وكيف لها أن تثبت في ظل هذا الانفتاح على العالم الواسع والتعرض لمختلف الهويات والقيم، وأخيرا أشرنا إلى دور مؤسسات المجتمع في الحفاظ على هوية أبنائها وترسيخها ونقلها إلى الأجيال القادمة بالشكل السليم الذي لابد أن يخلو من شوائب الهويات الغربية التي تختلف بقيمها وركائزها عن هويتنا العربية، وبالتالي ينتقل كيان الهوية العربية بشكله الأصيل إلى الأجيال القادمة. الكلمات المفتاحية: التطور، الهوية، الهوية العربية

Abstract

Identity stems from the individual's self, meaning that it is individual before being social or societal. This means that the Arab person must feel the importance of his identity and spread this interest and importance in the society in which he lives. We used the descriptive analytical approach to discuss the concept of Arab identity and its various pillars, such as the common language, land, common history, etc., as well as the nature of this identity and the history of the emergence of the concept in our Arab world. We also discussed the changes that have occurred in the Arab identity, and how it can be proven in light of this openness to the wider world and exposure to different identities and values. Finally, we pointed out the role of community institutions in preserving the identity of its children, consolidating it, and transferring it to Future generations must be educated in a sound manner that is free of the impurities of Western identities whose values and foundations differ from our Arab identity. Thus, the entity of Arab identity will be passed on in its authentic form to future generations.
Keywords: development, identity, Arab identity

المبحث الأول: الإطار العام للدراسة

أولا: مشكلة الدراسة

تتضح مشكلة الدراسة في التغيرات الواقعة على الهوية العربية وتداول قضية الانتماء في ظل العولمة ومدى تأثير هذا التغيرات في الشعوب العربية وأهم نتاجاتها، ويمكننا أن نلخص مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

١. ماذا تعني الهوية العربية؟

٢. ما هي محدداتها وأركانها؟

٣. ما هي أبرز التحديات التي تواجهها؟

ثانيا: أهداف الدراسة

تناقش الدراسة الحالية قضية الهوية العربية في ظل الأهداف الآتية:

١. التعرف على مفهومي التطور والهوية العربية.

٢. التعرف على نشوء مفهوم الهوية العربية، وماهي أبرز أركانه.

٣. بيان أبرز التحديات التي تواجهتها الهوية العربية.

ثالثا: أهمية الدراسة

يحتل موضوع الهوية العربية اليوم المراكز المهمة في قضايا العالم وكتابات المفكرين، لما تمثله المنطقة العربية من موقع مهم يتوسط قارات العالم، فضلا عن ثرواته ومناخه المعتدل في أغلب فصول السنة، وهذا ما جعله محط أنظار وأطماع الدول الكبرى المهيمنة على العالم، فواجهت الهوية العربية سياسات تغيير منذ الأزل، وكل هذه السياسات قد أثرت بشكل كبير في اللغة والانتماء، وتأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على هذه القضايا التي تمثل أساس وحدة الشعوب العربية والإسلامية.

رابعا: منهج الدراسة

ستناقش هذه الدراسة أهدافها وتساؤلاتها من خلال السير وفق المنهج الوصفي التحليلي، إذ يتيح هذا المنهج وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها، ومن ثم تحليلها وفقا للمعطيات الراهنة.

خامسا: مفاهيم الدراسة

١. **التطور**تَطَوَّرَ : تَحَوَّلَ من طَوْر إلى طَوْر، تَطَوَّرَ فِي دِرَاسَتِهِ : تَرَقَّى، تَدَرَّجَ، تَطَوَّرَ الْمُجْتَمَعُ، ونقول عَرَفَ تَغَيُّراً وَتَبَدُّلاً، أَيْ تَحَوَّلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، والتَطَوُّر :اسم، والمصدر تَطَوَّرَ، ويقال: الوَضْعُ الاجْتِمَاعِيُّ فِي تَطَوُّرٍ مُسْتَمِرٍ : أي فِي تَغَيُّرٍ وَتَبَدُّلٍ مِنْ مُسْتَوىً إِلَى آخَرَ، مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ(ابن منظور، ١٩٩٩م).والتَّطَوُّرُ : التغيّر التدريجيّ الذي يحدث في بِنْيَةِ الكائناتِ الحَيَّةِ وسلوكِها، ويُطلَقُ أَيضاً على التغيُّرِ التدريجيّ الذي يحدُثُ في تركيب المجتمع أَو العلاقات أَو النظم أَو القيم السائدة فيه (ابن منظور، ١٩٩٩م).يعني مفهوم التطور إصطلاحا، تنقل مرحلي وفق عوامل ثلاثة أساسية تُكون الخلفية الفكرية للمفهوم، فهو من جهة: عنصر الزمان، ومن جهة أخرى عنصر التتابع، ومن جهة ثالثة عنصر الاستقلال الشكلي أو الهيكلي، أما إذا أخذنا التطور بمعنى التفاعل الديناميكي فيقصد به الصدام والتعانق بين مختلف مقومات الهوية في موقف محدد (ربيع، ٢٠٢٢م).وقد لاحظنا أن هذا المفهوم لا يمكن فصله عن المفاهيم الأخرى، ولا يمكن الاعتماد عليه بحد ذاته، إذ لا يمكنا أن نفهمه وهو بصيغة مجردة فلا بد من إضافته لما بعده لكي يتضح، فنجده تارة مرتبط بالسياسة كالتطور السياسي، وتارة بالأحياء كتطور الكائنات الحية، وأخرى بالهوية، كتطور الهوية. إذن إذا ما أردنا أن نفهم مفهوم التطور في ظل دراسة الهوية لا بد لنا من أن نوضح (تطور الهوية)، وهو بدوره يتضح من خلال دراسة التطور تاريخي، وهذا التطور، يقاس بمدى التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية في مجتمع ما. وحين تكون هذه المجتمعات مهيمنة ومسيطرة، فإن ذلك ينعكس على سكون المفاهيم الاجتماعية وتغيرها. بمعنى آخر، إن التطور الاجتماعي في كل المجالات، ينتج عنه رؤية جديدة للحياة، وانتقال من المجتمع القديم، إلى مجتمع الحداثة كما يسمى.

٢. **الهوية**هُوِيَّةُ الْإِنْسَانِ: حَقِيقَتُهُ الْمُطْلَقَةُ وَصِفَاتُهُ الْجَوْهَرِيَّة (ابن منظور، ١٩٩٩).تعني الهوية، المظاهر الفكرية والثقافية والروحية التي يتميز بها مجتمع ما عن غيره من المجتمعات والملامح التي تعكس طريقة حياته وعاداته ومعتقداته وقيمه ومفاهيمه الحضارية التي عبرها تتبلور شخصيته ويتجسد انتماؤه وتتأسس ذاته التي تستمد خصوصية من مقابلتها للآخر واختلافها عنه، وما يجسد تلك الهوية هي اللغة، التي تمثل العامل الأساسي في تكوين الأمة وربط نفوس الأفراد فهي مرآة الشعب ومستودع تراثه وديوان أدبه وسجل مطامحه وأحلامه وأفكاره وعواطفه ورمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزان عاداته وتقاليده (رميشي، ٢٠٢٣).والهوية هي منظومة من المعطيات المادية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية، ولكن لا يمكن لمثل هذه المنظومة أن تكون في حيز الوجود ما لم يكن هناك شيء ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تنطوي على الإحساس بالهوية والشعور بها (شريح، ٢٠١٠م).

٣. **الهوية العربية** إن الهوية العربية تتكون من مجموعة مترابطة من المكونات التى قد تزيد نسبة بعضها أو تنقص، لكنها تتضافر فيما بينها لتطبع الإنسان الذى تتوافر فيه بخصائص واضحة وسمات محددة. وتتمثل هذه المكونات فى خمس ركائز أساسية هي (طاهر، ٢٠٢٥م):

- الجنس العربي.
- اللغة العربية.
- التاريخ الوطني.
- الثقافة المحلية.
- الدين.

وإن الهوية تمتد فى تاريخ المجتمع الذى ينتمى إليه الإنسان وتندمج مع كل ما مر به من أحداث. ولاشك أن هوية المجتمع هى التي تنعكس بصورة مصغرة فى أعماق كل فرد فيه حتى ولو عاش معظم حياته فى بلد أجنبي وحصل على جنسيته.

وتعني الهوية العربية الانتماء إلى خصائص هذا الوطن العربي ومقومات وجوده وكينونته، وإلى لغته القومية ورموزه وثقافته وقيمه وتاريخه ومصيره، وقد يكون هذا الانتماء روحيا أو سياسيا أو هما معا. وإنها تعني الارتباط القوي بالأرض والجغرافيا والتاريخ واللغة والدين أو الديانات الشائعة فى المجتمع العربي. وتكمن أهمية هذا الارتباط فى أنه يمنح الأفراد والجماعات أسس وجودهم وشعورهم بالانتماء إلى أصول عربية مشتركة، ويميزهم عن غيرهم ويمنحهم طابعهم وشخصيتهم القومية المميزة، كما يغذي مسئولياتهم الجماعية بضرورة استمرار مقومات هويتهم (حسين، ٢٠١٦م).

المبحث الثاني: الهوية: الماهية والنشوء

الماهية تعبر الهوية عن جماعة معينة تتميز عن الجماعات الأخرى، وهي ليست مرتبطة بالفرد بل بالجماعة وتمثل ديمومة وخلق مستمر للوطن، وتتجلى في العادات والتقاليد والمصالح والتطلعات المشتركة لأبناء الوطن الواحد أو الجماعة الواحدة، والتي ترعاها السلطة وتنظم علاقة المواطنين بأرضهم، وتتميز الهوية بالاستمرارية والدوام وتعبر عن شخصية المجتمع وأصالته وعاداته وتقاليده التي تميزه عن غيره من المجتمعات (بلعباس، ٢٠١٩)والهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة إلى الأبد، بل إنها حقيقة تولد وتنمو وتتكون وتتغاير وتشيخ وتعاني من الأزمات الوجودية والاستلاب، ولذلك تتميز الهوية بالتغير والتنوع وعدم الثبات، وكلما تتغير تكتسب الصفات والخصائص والمميزات التي تعرضت لها، إذن فهي ليست مرتبطة بالتراث بقدر ارتباطها بالتغير الحاصل على الأصعدة الثقافية والسياسية والاجتماعية، فلكل حضارة هوية مختلفة عن الأخرى (بلعباس، ٢٠١٩م). وتمثل الهوية وعي للذات وهي مرتبطة في الأساس بالوعي للغرب ووعي للماضي، وإن العرب في تعريفهم للهوية يربطونها بالتاريخ القومي واستمراريته، ويقول عبدالله العروي في ذلك: "حينما ينعدم الشعور العفوي المباشر بالذات، فيلجأ الناس مضطرين إلى الماضي، ليؤكد لهم هويتهم فتصبح مرادفة للاستمرارية التاريخية، فهويتنا هي ما خلفه الأسلاف" (العروي، ١٩٩٩م).

أركان الهوية

إن لكل هوية محددات وأركان تقوم على أساسها، وتتفق في العناوين وتختلف في المحتوى، باختلاف المجتمع الذي تنتمي إليه، وسنذكر أهم هذه الأركان التي تحدد ملامح الهوية:

١. **اللغة المشتركة**تسهم اللغة بعمق في تشكيل الهوية الفردية، وهي ما تعكسه عبارات سائرة من قبيل: "تكلّم لأعرفك" و"الإنسان مخبوء تحت لسانه"، ويرتبط الإنجاز الفردي للغة (الكلام) بالهوية الفردية التي تجعل الناس يتميزون بطريقتهم في الكلام، وتشكّل اللغة جزءاً مهماً من الهوية، وتتميز عن باقي الأنساق الثقافية الأخرى بأمرين هما: السبق والتأويل، فإنّ أول ما يسمعه الطفل الناشئ هو الضجيج الصادر حوله، الذي سيتحول لاحقاً إلى أصوات ذات دلالة، أما التأويل فيقصد به أنّ كثيراً من المظاهر الثّقافية الأخرى تؤول في النهاية إلى عبارات لغوية من قبيل الآداب والحِكم والأمثال. وتعتبر اللغة أهم رابطة تاريخية تربط بين الأجيال المختلفة من الشعب الواحد، ذلك لأن اللغة وعاء التجارب الشعبية والعادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال، وتمثل اللغة عاملا تواصليا مهما ويترتب على هذا الوصل تشكل ملامح الهوية في جانبها الجمعي التضامني. فالطفل، كما يقول عبدالحميد بن باديس: إذا دخل ميدان الحياة وعرف الذين يماثلونه في ماضيه وحاضره ومستقبله، ووجد فيهم صورته بلسانه ووجدانه وأخلاقه ونوازعه ومنازعه، شعر نحوهم من الحب بمثل ما كان يشعر به تجاه أهل بيته في طفولته، وهؤلاء هم أهل الوطن الكبير، ومحبته لهم في العرف العام هي الوطنية. وإن اللسان يقوما على قواعد لغوية مشتركة، وهذه القواعد تنسج خيوط المحبة والعصبية بين المجموعات، بل تتعدى ذلك إلى خلق مجموعات هوياتية داخل هويات أكبر. وإن استعمال اللغة في المجتمع دعا الى التواصل والتفاهم والانسجام، بين أبناء الأمة الواحدة، وانصهارهم كليا في تجمع فكري واجتماعي موحد (حسين، ٢٠١٦م).

٢. **الأرض**تتحدد الهوية وترتكز في ثباتها على الأرض التي ينتمي إليها أبناؤها فتكشف قصة روديسيا، ذلك البلد الأفريقي الذي غير اسمه إلى زمبابوي في ترحل بين الهويات، فقد سماها المستعمر بـ (روديسيا) وحكمها الرجل الأبيض وتسلط على هويتها ولغتها، ولكن الأرض لم تسلم له وظلت تقاوم المستعمر إلى أن تحررت ومسحت المستعمر وسلطته، وغيرت اسمها ومعناها لأن الأرض لم تكن تتكلم الإنجليزية التي هي لغة المستعمر، ولكنها تملك لغة أخرى هي لغة الأرض ولذا انتصرت على المحتل، وكذلك ما حدث في جنوب أفريقيا، حيث تسلم أهل الأرض بلدهم وأزاحوا العنصري الذي كان يقمع لغتهم ويهيمن على وجودهم. ويقابل ذلك نموذج مختلف، هو نموذج أميركا التي أزاح المهاجرون أهل الأرض الأصليين وصنعوا للمكان لغة وافدة من أوروبا وتعززت بقوة السلطان والمال والثقافة، وتم قمع الأرض وحرمانها من هويتها ومعناها (الغذامي، ٢٠٢١م).

٣. **التراث** إن التراث لا يمكن أن يعني الماضي فقط، بل هو الموروث الذي يصل الماضي بالحاضر والمستقبل، وذلك من خلال الأجيال، وإذا كانت الهوية هي القاسم المشترك من سمات حضارية وثقافية بين أبناء الشعب الواحد، والتي تميزه عن غيره من الشعوب، فإنّ التراث الشعبي هو العامود الفقري لهذه الهوية، وكلما زادت قيمته وأحسنت كيفية التعامل معه، يستطيع المجتمع أن يصنع لنفسه مكانة محترمة في الحضارة الانسانية عامة (هيبي، ٢٠٢٥م).

٤. **التاريخ المشترك** هو التاريخ الذى يتناول نشاط الإنسان في الزمان والمكان، وهو كذلك السلسلة الطويلة من الأحداث والتفاعلات المتشابكة التي حدثت في الجماعات البشرية على مر الأجيال، وأعطت اللغة القومية والثقافة والعادات والتقاليد المشتركة طابعها المميز، وولدت عند أبنائها الأهداف والمصالح المشتركة والطابع القومى الواحد، ويقصد هنا بالتاريخ، التاريخ الشعبي أي تاريخ الشعوب، الذي سجل معاناة الشعوب أثناء مسيرتها التاريخية فى الحياة، وكيف واجهت العقبات وتغلبت عليها. إنه التاريخ الذي يستقر فى ذاكرة الشعوب ويمدها بالمواقف والتجارب والخبرات التى تساعد فى التعامل مع هذا الموقف أو ذاك (حسين، ٢٠١٦م).

٥. **الدين** إن انتساب الأفراد إلى ديانة واحدة من العوامل التى تجعلهم يشعرون بأنهم مشتركون فى هوية جماعية واحدة. فسكان الوطن العربي لا يأتى انتماؤهم إلى الهوية العربية فى ضوء عامل الانتماء إلى مقومات العروبة (اللغة العربية والثقافة العربية) فقط، أيضا ولأن أغلبهم يدين بالدين الإسلامي، ولذلك دور مهم فى تقوية ملامح الهوية الجماعية المشتركة. ومثلما تتغذى الهوية على عنصري اللغة والثقافة، ترتكز كذلك على الدين والقيم الدينية. والهوية التى تستند إلى مجموع هذه المقومات من لغة ودين وثقافة هي بالطبع أقوى وأمتن من تلك التى تستند إلى إحداها فقط. ولكن رغم ذلك فإن عامل الدين بمفرده لا يؤدي إلى هوية جماعية قوية بين الشعوب التى تدين بدين مشترك، بدليل ما هو حادث الآن بين الشعوب الإسلامية (إيران– ماليزيا– تركيا– إندونيسيا..الخ) التى تدين أقسام متباينة من شعوبها بالإسلام، فرغم وجود ملامح هوية مشتركة مع الدول العربية مستندة إلى المعتقدات والشعائر والممارسات الإسلامية، فإن عدم وجود لغة مشتركة وثقافة مشتركة، يضعف وجود هوية جماعية لهذه البلدان مع بعض (حسين، ٢٠١٦م).

متى ظهر الكيان العربي بشكله المتعارف عليه؟هناك عدة آراء ذكرها بعض الباحثين ترجع ظهور المفهوم القومي الحديث إلى عدة عصور مختلفة، فهناك رأي يقول أن تاريخ العرب الحديث يبدأ مع الحملة الفرنسية على مصر والشام لأنها كسرت حاجز العزلة الذي فرضه العثمانيون على العرب، لأنهم لم يحتكوا باوروبا المتحضرة فأصبحوا متخلفين، ولأن هذه الحملة كانت بداية فتح باب الاحتكاك بين الحضارتين وإطلاع العرب على الحضارة الغربية، فتعد بداية لمرحلة تاريخية جديدة، وهناك رأي آخر يرى أن تاريخ العرب الحديث يبدأ من عصر (محمد علي) لأنه قضى على الاقطاع في الداخل العربي، وغير في وسائل وقوى الإنتاج في مصر وارتبط بأوروبا في أسلوب تحديث دولته، وحاول أن ينفرد بالمنطقة العربية بعيدا عن العثمانيين، أما الرأي الثالث فيقول أن تاريخ العرب الحديث يبدأ من العصر العثماني ودخول العثمانيين المشرق العربي، وانفرد الرأي الرابع بالقول أن العالم العربي ظهر على ساحة التاريخ بعد أن نجح الغرب في تقسيم الدولة الإسلامية الكبيرة المتكونة من إيران وتركيا والعرب، وقد انشغلوا بعد ذلك بتمزيق كل واحدة من هذه الكيانات إلى دول وأشباه دول ضعيفة (بيومي، ٢٠٠٢م).

ونفهم من ذلك أن الجمعيات العربية الداعية للحفاظ على القومية العربية التي كانت تظهر بين الحينة والأخرى في العهد العثماني كانت مدعومة بشكل أو بآخر من قبل الإنجليز والفرنسيين، ويؤكد ذلك الدعم الذي كان يقدم للمؤتمرات كمؤتمر القوميين العرب المنعقد في فرنسا عام ١٩٠٣م، ولكن رغم ذلك كانت هناك بعض الأفعال العنصرية من قبل الأتراك تجاه العرب، فقد ذكرت بعض الأدبيات أن هناك تفردا تركيا في الإدارة المركزية، واعتماد اللغة التركية في كثير من المحافل والمعاملات الرسمية، فضلا عن تغير بعض أهداف الحكم العثماني نتيجة تعاقب السلطة بين عدة حكام وشخصيات، ولم يكن كل من حكم الدولة العثمانية على نهج واحد، وقد ساعدت كل من هذه العوامل وغيرها في تنمية الدعوة إلى ظهور القومية العربية والالتفاف حول هذه الأصوات.وتمثلت هذه الدعوات بتشكيل جمعيات سرية بهدف تحقيق أهداف القومية بعيدا عن رقابة السلطات العثمانية، وشرعوا في نشر أفكارهم من خلال النوادي والجمعيات العلنية، وكان من أولها تأسيس المنتدى العربي في اسطنبول عام ١٩٠٩، من قبل مجموعة من الموظفين والنواب والطلاب العرب، وقد لعب هذا المنتدى دورا كبيرا في تقوية الحركة العربية واعتبر أن اتحاد الأمة العربية أولا ليصح اتحادها مع غيرها في الدولة العثمانية، وفي أواخر العام نفسه أنشأ مجموعة من العرب (الجمعية القحطانية) بالاستانة برئاسة عبدالكريم الخليل وعزيز المصري، وقد انتشرت مبادئها بين الشباب العرب وكثر عدد الداخلين فيها، وكان هدفها نشر المبادئ القومية بين العرب وجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم وتحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ثنائية ذات قطبين، حيث تؤلف الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها ولغتها القومية ومؤسساتها لتكون جزءا من دولة تركية عربية كإمبروطورية النمسا والمجر (سبة، ٢٠١٨م).وقد تطور هذا الصراع بين

القوميتين العربية والتركية إلى أن وصل إلى ما يسمى بالثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ بزعامة (الشريف حسين)، وبرغم ما صاحب هذه الثورة من دعم بريطاني وأوروبي –لإسقاط الدولة العثمانية وتقاسم تركتها– إلا أن الشريف حسين كان يسعى من وراء ثورته إلى إنشاء دولة عربية واحدة، وتضم هذه الدولة الحجاز والعراق وسوريا، وكان يرى يريد أن يتزعم هذه الدولة ولكن يعطي لكن منطقة من البلاد العربية حكما ذاتيا حسبما تقتضيه خصوصيتها الجغرافية والثقافية، وكانت هذه الدولة حلما ظل في أذهان الشريف حسين ولم يرَ النور.ويعود السبب في اخفاق هذا الحلم في إقامة دولة عربية موحدة إلى عدة أسباب، منها، أسباب ذاتية تخص العرب أنفسهم، وأسباب خارجية متعلقة بفرنسا وبريطانيا والدول الاستعمارية الأخرى، أما ما يخص العرب أنفسهم فقد كانت العصبية القبلية هي الغالبة آنذاك ولم يكن الوعي القومي قد انتشر وأخذ حيزه لكي تحل العصبية القومية محل العصبية القبلية، وأن الشريف حسين الذي كان زعيما قبليا قد تبنى هدف المثقفين والمفكرين العرب الذين لم يكن لهم سلطة، وأخذ يعمل بما يملك من مكانة وقوة منصبه الديني وزعامته التقليدية على قبائل الحجاز من أجل تحقيق هذا الهدف، ولكن الزعماء الكبار المحيطين بالحجاز لم يروا في موقف الحسين إلا جانب العصبية القبلية ولم يكن في نظرهم سوى رجل شديد الطموح يود أن يبسط نفوذه وزعامته على أقطار خارج زعامته التقليدية في الحجاز (طلاس، ١٩٨٧م).وعند انشغال العرب بالحكم والقبلية كانت هناك مؤامرات تحاك ضدهم في المحافل الدولية، ففي ذات السنة التي ثار فيها الشريف حسين على العثمانيين عقدت اتفاقية (سايكس بيكو) بين فرنسا وبريطانيا وبإشراف من روسيا، وكانت بريطانيا قد وعدت الشريف حسين بدعمه في تحقيق حلمه بحكم جميع أراضي المنطقة العربية بما فيها فلسطين، لكنها في الواقع جعلت منه أداة لها لهدم كيان الدولة العثمانية وفرض سيطرتها على الدول التي تحكمها الدولة العثمانية، إذ كانت قد أبرمت اتفاقية ثلاثية مع فرنسا وروسيا على تقسيم الدولة العثمانية فيما بينها، وشمل هذا التقسيم (زناتي، ٢٠٠٧م):

- استيلاء فرنسا على غرب سوريا ولبنان وولاية أطنة.
- استيلاء بريطانيا على منطقة جنوب وأواسط العراق بما فيها مدينة بغداد وميناء عكا وحيفا في فلسطين.
- وتأخذ روسيا الولايات الأرمنية في تركيا وشمال كردستان.
- الممنطقة المحصورة بين الأقاليم التي تحصل عليها فرنسا والتي تحصل عليها بريطانيا تكون اتحاد دول عربية، ومع ذلك تقسم هذه الدول إلى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية، فيشمل نفوذ فرنسا شرق سوريا وولاية الموصل، ويشمل نفوذ بريطانيا من شرق الأردن والجزء الشمالي من ولاية بغداد وحتى الحدود الإيرانية.
- يخضع الباقي من فلسطين لإدارة دولية.
- يصبح ميناء الاسكندرونة حرا.

وبذلك نرى أن حال من الشريف حسين يقول ليت أن الحلم لم يتحقق وينتهي الأمر عنده فقط، لأنه كان طعما لقضية استعمار وتقسيم استمرت ويلاته وتبعاته إلى يومنا هذا، فعلى الرغم من أن الاحتلال العسكري البريطاني والفرنسي انتهى إلا إن هذه الدول شرعت باستخدام وسائل غزو أخرى، ثقافية ودينية وفكرية واقتصادية أثرت بشكل كبير في كيان الأمة العربية ونالت من وحدتها وزرعت ركائز دولية ومناطقية ينتهي إليها الفرد بدلا من الهوية العربية.

المبحث الثالث: تحديات الهوية العربية

تمثل المنطقة العربية قلب العالم من ناحية الموقع والموارد والمناخ والأرض الخصبة، بالإضافة إلى التنوع الثقافي والديني، ولهذا واجهت –ولا زالت تواجه– على مر العصور العديد من التهديدات المختلفة ثقافيا ودينيا وعرقيا وجغرافيا واقتصاديا وسياسيا، والتي تؤول في نهاية المطاف إلى تهديدات ثبات الهوية العربية.ورغم تعدد مصادر هذه التهديدات إلا أن المصدر الأساسي الذي يأتي منه التهديد الأكبر يكمن في السياسة الاستعمارية التي تسود العالم، والتي تهدف إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة والتي تسعى إلى صياغة هوية شمولية تفرضها في الواقع الإنساني في إطار مزيف من التوافق القسري والإجماع المفروض بالقوة، والخطورة في هذا الأمر أن قوة الأبهاء التي تطرح بها هذه الهوية الشمولية ذات المرجع الغربي والأمريكي تحديدا، تعمى الأبصار عن رؤية الحق على الأرض كما هي، مما يؤدي إلى التوهم في أن هذه الهوية المغشوشة هي الهوية العصرية والهوية الكونية وهوية التحديث والمدنية والهوية التي ينبغي أن تسود وتقود (كرمة، ٢٠٠٦م).وهذه العوامل الخارجية لا يمكن لأحد أن يغفل عن دورها في زعزعة مفهوم الهوية العربية، وتغير هيكلتها وكيانها، ولكن بالمقابل لا يجب أن ننسى العوامل الداخلية التي ربما تحدث الأثر الأكبر في ثبات أو تغير هويتنا العربية، وقد وجدت الباحثة مقالا علميا لأحد الباحثين يفصل فيه بشكل دقيق أهم هذه الأسباب، وسيتم ذكرها فيما يلي (الديب، ٢٠٢٥م):

١. قلة الوعي بالذات والممكنات الحضارية، والقدرة على الفعل والإنجاز واحتلال المكانة الطبيعية للعرب والمسلمين في طليعة الدول المتقدمة.

٢. اختلال منظومة الوعي العربي بسبب انتشار الكثير من طرق التفكير والمفاهيم والخرافات والمسلّمات الخاطئة.

٣. الفهم الخاطئ للدين ودوره الحضاري في البناء والتنمية والعمارة والتحضر، لحساب الكثير من الأيديولوجيات الدينية المتنوعة والتي انحرفت بفهم الدين ودوره الطبيعي في بناء الأمم والحضارات: "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (الأنعام: ١٥٩).

٤. غياب الكثير من المفاهيم والقيم الحضارية العابرة للمستقبل واللحاق بالعالم الحديث ومشاركته حضاريا.

٥. عيش المجتمع تحت عقول وأقلام نخب مزيفة تزيف له الواقع والتاريخ بل وحقائق الدين، وتنزع منه مفاعيله الحضارية وتستبدلها بمفاهيم الاستسلام للأمر الواقع والمداهنة والتعايش والتكيف مع الفساد والاستبداد، في ما يطلق عليها بثقافة وهوية مجتمعات الفساد والتخلف.

٦. خلل البنية الاجتماعية بسيادة قوانين العصبية العرقية القبلية والدينية والأيديولوجية، على حساب العصبية العامة الواحدة للدولة والوطن الذي يجمع ويرعى ويحمي ويصون ويقوي كل المكونات التي تعيش على أرضه.

٧. وتداعيات هذه المفاهيم على التقسيم الضمني للمجتمع إلى فئات وشرائح نوعية وأخرى عادية وأخرى دونية، على أسس قبلية وأيديولوجية ومهنية.. إلخ، بعيدا عن مفهوم العدالة والمساواة والمواطنة الكاملة الحقوق.

خاتمة ونتائج:

يمكن القول من خلال ما ورد سابقا أن الهوية لا تولد مع الإنسان بل يكتسبها من المحيط الذي يعيش فيه، وهي بدورها لا تولد ولا تتكون دون مغذيات المحيط، وأول وأهم تأثير من هذا المحيط هي الأسرة وطريقة تنشئتها لأبنائها ومدى احتفاظها بالموروثات الثقافية والدينية، ومن ثم يأتي المجتمع المحلي كأحد الفاعلين في ترسيخ الهوية بشخصية الفرد، فبعد الأسرة يلجأ الفرد إلى الأصدقاء والجيران ويبدأ بتكوين علاقات مع المحيط الذي ينتمي إليه، ومن ثم تنتقل مسؤولية ترسيخ الهوية إلى المجتمع الكبير بما يضم من مؤسسات وركائز، وبهذا المعنى فإننا نحمل أمانة تمثيل الهوية بشكل سليم في معاملاتنا وأخلاقنا وحياتنا العامة، وتأخذ الأمانة حيزا أكبر بنقل هذه الهوية إلى الأجيال اللاحقة بالصورة العربية السليمة النقية دون اختلاطها بالهويات المجاورة في العالم الواسع الذي أضحى (قرية صغيرة كما يسمى) في ظل العولمة والتكنولوجيا ودخولنا العالم الرقمي، فنتعرض خلاله وباستمرار إلى أنواع مختلفة من الهويات والقيم التي تحمل معها ركائز ومحددات مختلفة لهذه الهويات، وقد تتفق أو تختلف مع ركائز هويتنا العربية، إذن يمكن القول أن هويتنا العربية باتت تتعرض لرياح الهويات المختلفة في جميع أنحاء العالم وهي بذلك قابلة للتغير واكتساب قيم جديدة ربما تكون مختلفة عن القيم التي نشأنا عليها، وهذا يجعل المسؤولية كبيرة على مؤسسات المجتمع في مراقبة القيم الواردة لأبنائنا، ولا شك أن أهم هذه المؤسسات هي الأسرة، التي ترسخ قيم الهوية في نفوس أبنائها، وتتحمل مراقبة هويتهم والحفاظ عليها.

المصادر:

القرآن الكريم.

١. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٩٩م.

٢. حامد ربيع، نظرية التطور السياسي، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، مصر، ٢٠٢٢م.

٣. ربيعة رميشي، دور اللغة العربية في تنمية الهوية الوطنية، دراسة منشورة، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد٦، العدد١، مارس ٢٠٢٣، الجزائر.

٤. محمد عادل شريح، إشكالية الهوية في الفكر الإسلامي الحديث، دار الفكر للطباعة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٥. حامد طاهر، الهوية العربية مكوناتها وعوامل دعمها، https://www.hamedtaher.com/index.php?option=com_content&view=article&id=473&Itemid=371

٦. أحمد حسين، الهوية العربية مقوماتها ومحددات تعريفها: إطار نظري ومقاربة تحليلية، دراسة منشورة، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثالث والخمسون، العدد الثاني، مايو٢٠١٦م، القاهرة.

٧. يمينة بلعباس، سمية محمدي، العولمة وأثرها على الهوية الثقافية عبدالوهاب المسيري أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٩م.

٨. عبدالله العروي، الإيديولوجيا المعاصرة، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.

٩. عبدالله الغذامي، الهوية والأرض، مركز الاتحاد، أبو ظبي، الإمارات، ٢٠٢١م.https://www.aletihad.ae/news

١٠.محمد هيبي، دور التراث الشعبي في تعزيز الهوية الوطنية، https://www.drmuhammadhebi.com /

١١.زكريا سليمان بيومي، العرب بين القومية الإسلام: قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، دار القاهرة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢.

١٢.حسان سبة، رشيد سالمي، الحركة القومية العربية ودورها في إضعاف الخلافة العثمانية (١٨٧٥-١٩٢٠)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة أحمد دراية-أدرار-، الجزائر،٢٠١٨م.

١٣.العماد مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط٤، دمشق، ١٩٨٧م.

١٤.أنور محمود زناتي، تاريخ العرب والمسلمين منذ ظهور الإسلام وحتى العصر المعاصر، مكتبة عين شمس، مصر، ٢٠٠٧.

١٥.الشريف كرمة، اللغة العربية وعلاقتها بالهوية، دراسة منشورة، مجلة حوليات التراث، العدد السادس، ٢٠٠٦م، الجزائر.

١٦.إبراهيم الديب، تحديات الهوية العربية في الربع الثاني من القرن ٢١، ٢٠٢٥م، https://arabi21.com/story/1395338.

Sources:

1.The Holy Quran.

2.Ibn Manzur, Lisan al-Arab, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, for Printing and Publishing, Third Edition, Beirut, 1999.

3.Hamed Rabie, The Theory of Political Development, Civilization Center for Studies and Research, Egypt, 2022.

4.Rabia Ramishi, The Role of the Arabic Language in Developing National Identity, a published study, Al-Qari' Journal for Literary, Critical and Linguistic Studies, Volume 6, Issue 1, March 2023, Algeria.

5.Muhammad Adel Shureih, The Problem of Identity in Modern Islamic Thought, Dar Al-Fikr Printing House, Cairo, 2010.

6.Hamed Taher, Arab Identity, Its Components and Supporting Factors, https://www.hamedtaher.com/index.php?option=com_content&view=article&id=473&Itemid=371

7.Ahmed Hussein, Arab Identity, Its Components and Determinants of Definition: A Theoretical Framework and Analytical Approach, a published study, The National Social Journal, Volume 53, Issue 2, May 2016, Cairo.

8.Yamina Belabbas, Samia Mohammadi, Globalization and its Impact on Cultural Identity: Abdel-Wahhab El-Messiri as a Model, Unpublished Master's Thesis, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Kasdi Merbah, Ouargla, Algeria, 2019.

9.Abdullah Al-Aroui, Contemporary Ideology, Arab Cultural Center, 2nd ed., Casablanca, 1999.

10. Abdullah Al-Ghadami, Identity and Land, Al-Ittihad Centre, Abu Dhabi, UAE, 2021. https://www.aletihad.ae/news

11. Muhammad Hibi, The Role of Popular Heritage in Strengthening National Identity, https://www.drmuhammadhebi.com/

12. Zakaria Suleiman Bayoumi, The Arabs between Nationalism and Islam: An Islamic Reading of Modern and Contemporary History, Dar Al-Qahira, 1st ed., Cairo, 2002.

13. Hassan Seba, Rashid Salmi, The Arab Nationalist Movement and its Role in Weakening the Ottoman Caliphate (1875-1920), Unpublished Master's Thesis, Faculty of Humanities, Social Sciences and Islamic Sciences, Ahmed Draia University - Adrar -, Algeria, 2018.

14. General Mustafa Tlass, The Great Arab Revolt, Tlass House for Studies, Translation and Publishing, 4th ed., Damascus, 1987.

15. Anwar Mahmoud Zanati, History of Arabs and Muslims from the Emergence of Islam until the Contemporary Era, Ain Shams Library, Egypt, 2007.

16. Al-Sharif Karma, The Arabic Language and Its Relationship to Identity, a published study, Annals of Heritage Magazine, Issue Six, 2006, Algeria.

17. Ibrahim Al-Deeb, Challenges of Arab Identity in the Second Quarter of the 21st Century, 2025 AD, https://arabi21.com/story/1395338.